الباب الثالث

التَّعلُّمُ مَدى الحياة

١-اقرأ كتاباً جديداً كل ثلاثة أشهر.

٢-اخضع لدورة تدريبية أو تعليمية جديدة.

٣-اشترك في واحدة على الأقل من المجلات التخصصية أو الدوريات الشهرية أو النشرات المتعلقة بتخصصك.

٤-تَصفَّح المواقع المتعلقة بتخصصك العملي على شبكة الإنترنت مرة على الأقل في الأسبوع.

٥-الزم واحداً من مجالس العلم على الأقل في أحد مساجد بلدتك.

التعلّم مدى الحياة

من أحدث ما تقدِّمه الإدارات الحديثة في الدول المتقدمة اليوم فلسفة: (التعلم مدى الحياة)، أو ما يُسَمَّى: (**التنمية المستدامة**)، فالعلم لا ينتهي ولا يتوقف عند حدود التخرج في الجامعة، أو الحصول على شهادة الدكتوراه...، بل يستمر التعلم ويبقى مدى الحياة.

وهذه الفكرة لم تبتدَع في العصر الحديث، فمن أول ما قدمه الإسلام لنا: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ٢٠/ ١١٤].

قال المفسرون: «لم يأمر الله تعالى نبيه الكريم ﷺ في قرآنه الكريم أن يطلب الزيادة من شيء إلا من العلم».

وما يزال الرجل عالماً ما تَعَلَّم، فإذا قال: إني عالم فقد جَهِل.

وإن أكثر ثلاثة مصطلحات في القرآن الكريم هي: (**الإيمان، العلم، العمل**) فكلمة العلم واشتقاقاتها وردت في القرآن الكريم أكثر من (٦٠٠ مرة)، أما في كتب السنة فإنك لا تجد كتاباً جامعاً من كتب الحديث إلا وفيه كتاب للعلم أو باب للعلم أو فصل

للعلم، ضمَّ فيه مؤلفه مجموعة كبيرة من أحاديث رسول الله ﷺ في فضل العلم، وفضل العالم والمتعلم، والحث على العلم، وإلى غير ذلك..

كما أورد حاجي خليفة في كتابه الموسوم بـ (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) ما يزيد على ٣٠٠ عِلم قَدَّم فيها المسلمون أبحاثاً مبتكرة؛ كعلم الجراحة، والفَلَك، وعلم الصيدلة، والنبات، وعلم الحيوان، والفلاحة، وعلم المعادن والجواهر، وعلم تركيب أنواع المِداد، وعلم المقادير والأوزان، وعلم الهندسة، والملاحة، وغيرها من العلوم...، فضلاً عن العلوم الشرعية كعلم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الفقه... ونحوها.

كما ذكر حاجي خليفة في مقدمة كتابه شروط العلم فقال: «ومن الشروط حتى تكون من أهل هذا العلم العزمُ والثبات على التعلم إلى آخر العمر كما قيل: (الطلب من المهد إلى اللحد)، وقال سبحانه لحبيبه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ٢٠/ ١١٤]وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ١٢/ ٧٦]».

لكن اللافت أن عدداً من التُّجَّار والصُّنَّاع المسلمين، أو الحرفيين والموظفين، أو حتى خريجي الجامعات يتوقف عن التعلم عندما يبدأ بالعمل وبجمع المال من معمله أو مصنعه، وتراهم يعتذرون عن متابعة العلم، أو عن حضور مجالس العلم، أو عن الالتحاق بدورات تدريبية، أو حتى عن قراءة كتاب نافع، يتذرعون بذريعة الانشغال بالعمل أو بكبر السن أو بزيادة العمر، وهذا

مخالف لتعاليم الإسلام الحنيف ولتعاليم التنمية والتطوير، فالمسلم مُطالَب بالبقاء متعلماً مدى العمر، ونحن إذا قلنا: (التَّعلُّم) فهذا لا يقتصر على تعلُّم علوم الدِّين، بل يشمل أيضاً علوم الحياة، فالتاجر الذي يستورد مادة ما، ثم يذهب ليدرس أخبار هذه المادة، أو ليبحث عن كيفية تطويرها وتسويقها أفضل بكثير من ذلك التاجر الذي يحمل من مكان، ويودع في آخر، كأنه واسطة نقل وحسب، وذلك لأن الأول يخدم أمته ويخدم دينه ويخدم نفسه عندما يستمر في التنمية والتطوير والتعليم لتحسين مهاراته وخبراته الخاصة، لذلك سينال عند الله تعالى أجراً كبيرًا.

يقول أحد أساتذة علم الإدارة: «**تتعلم لتعمل، وتعمل لتنتج، ثم تتعلم لتحسن ما تنتجه**».

أما إذا بقي التاجر أربعين سنة ينتج القطعة نفسها، ويستورد المادة نفسها، فإنه قد يكون عاملاً سلبياً يُسهِم في تأخر الأمة وتراجعها، وإنك لتعجب من كبار علمائنا عندما يقولون: إنهم يأملون من الله تعالى أن يموتوا في طلب العلم، فها هو إمام السنة الثابت يوم المحنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه على فراش الموت يسمع حديثاً عن رسول الله ﷺ، فقام ليكتبه، فقال له ابنه عبد الله: يا أبتِ، وأنت على فراش الموت؟! فقال: «**يا بني، مع المحبرة إلى المقبرة**».

وقد تجتمع في زماننا هذا برجل غربي يأتي زائراً إلى بلادنا، قد قارب السبعين من عمره يحمل عدداً من شهادات الدكتوراه في

اختصاصات رفيعة متنوعة، دفعه حب التعلم مدى الحياة إلى الالتحاق بدورات لتعلّم اللغة العربية.

وكأني بهم في هذا النهج يتبعون ما أبدعه المحدِّثون، فنحن نعلم أن الحديث لا يكون صحيحاً حتى ينقل عن طريق رجال ثقات، لكن رجالات الجرح والتعديل الذين يقولون: هذا ثقة، وهذا ليس ثقة، لا يعطونه شهادة الثقة على طول عمره، بل يختبرونه كل حين، هو اليوم ثقة، لكنهم يختبرونه بعد شهرين أو بعد سنتين أو بعد عقدين، وربما قالوا: فلان كان ثقة ثم صار ضعيفًا، فلان ثقة في البلد الفلاني وضعيف في بلد آخر، فلان ثقة في بعض المواضيع وضعيف في مواضيع أخرى، فلان ثقة في بعض الشيوخ وضعيف في شيوخ آخرين...، إنهم يريدون المحافظة على ميزة التعلم مدى الحياة.

قال سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه: «**تعلَّموا العلم، فإنَّ تَعَلُّمَه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة**».

خطب سيدنا علي رضي الله عنه بالناس فقال: «**العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، العلم يزكو بالإنفاق والمال تنقصه النفقة، العلم دين يدان به، تكتسب به الطاعة في الحياة، وجميل الأحدوثة بعد الوفاة، وصَنِيعَة المال تزول بزواله، العلم حاكم والمال محكوم، ماتَ خُزَّان الأموال وهم أحياء، والعلماء**

أحياءُ باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم من القلوب موجودة»[1].

وإذا نظرت في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: ١٨/٧]، علمت أنك لا تصير أحسن عملاً حتى تصير أحسن علمًا، من كان علمه حسناً فعمله أحسن.

هذه مقدمة للمادة العملية في هذا الباب، وهذه نصائح ست هي الجانب العملي الذي يُعينك على دوام التعلم حتى ترقى في الدنيا والآخرة، وحتى تطوّر نفسك ومجتمعك:

أولاً: اقرأ كتاباً جديداً كل ثلاثة أشهرٍ على الأقلّ

لا يعقل أن تمضي الأعوام والسنون والأشهر، وأنت لم تقرأ كتاباً جديداً مهما كانت درجتك العلمية، ومهما كان اختصاصك، وأيّاً كان عملك.

إن المبدعين المتفوقين يقرؤون كتاباً جديداً كل أسبوع، وأنت إن لم تقرأ كتاباً كل أسبوع، فاقرأ كل ثلاثة أشهر كتاباً جديداً مما شئت من الكتب، كَبُرَ أو صَغُر، رَقَّ أو عَظُم في علوم الدِّين أو في علوم الدنيا، لكن اقرأ كتاباً جديداً حتى تبقى في تعلُّم مدى الحياة.

---

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في تاريخ دمشق.

ثانياً: اخضع لدورة تعليمية أو تدريبية جديدة واحدة على الأقل كل سنة

مهما كان اختصاصك أو عَمَلك، فإنك تجد نفسك بالتعلُّم تزداد علماً ودرجة في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ٥٨/١١].

ثالثاً: شارك في واحد على الأقل من المعارض أو المؤتمرات التخصصية مرة كل سنة

ادخل إلى المعرض، ثم انظر ماذا طرأ على اختصاصك من تطورات وابتكارات جديدة، لعلك تنفع المسلمين في المكان الذي أنت فيه، فليس الأمر جمعَ المالِ وحسب، فالمال سينفد أو تدعه وتمضي إلى ملاقاة ربك جلّ جلاله.

رابعاً: اشترك في واحدة على الأقل من المجلات التخصصية والدوريات الشهرية أو النشرات المتعلقة بتخصصك

خامساً: تصفح المواقع المتعلقة بتخصصك العملي على شبكة الإنترنت مرة على الأقل في الأسبوع

سادساً: الزم واحداً على الأقل من مجالس العلم في أحد مساجد بلدتك

بهذه النصائح الست نرقى عند الله، وترقى أسواقنا التجارية،

وندخل في الذين يتعلمون مدى الحياة، وننال ما في حديث سيدنا محمد ﷺ من الخير في قوله: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضاً بِمَا يَطْلُبُ**»(١).

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٣٥٣٦)، من حديث صَفْوَانَ بْن عَسَّالٍ الْمُرَادِي رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في الصغرى (١٥٨).